الأزهر الشريف

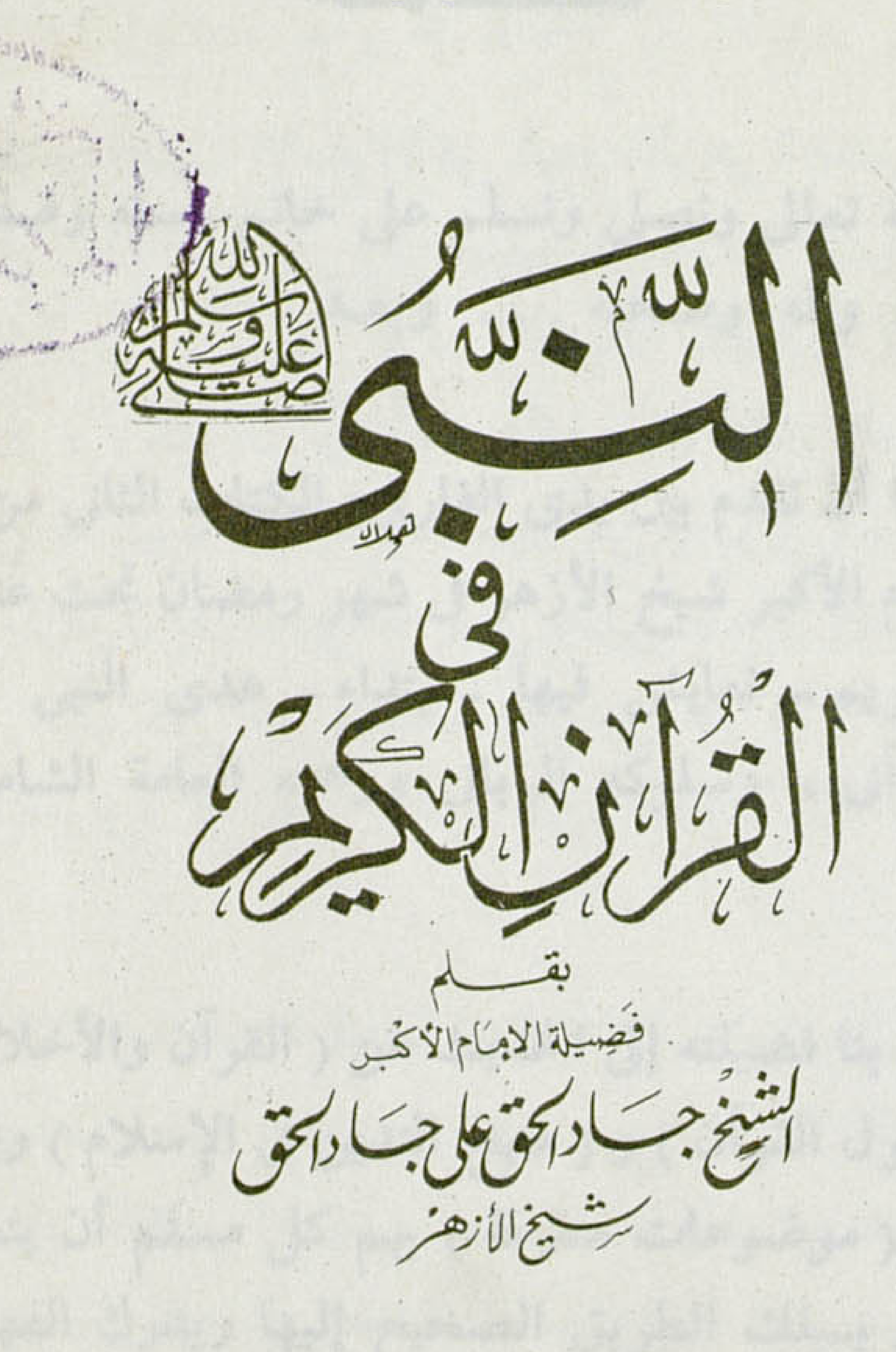
الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية

النبي ﷺ في القرآن الكريم

بقلم
فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر

٩ قضايا إسلامية معاصرة

الأزهر الشريف
الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية



النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم

بقلم
فضيلة الإمام الأكبر
الشيخ جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر

قضايا إسلامية معاصرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نحمد الله تعالى ونصلى ونسلم على خاتم رسله وصفوة أنبيائه سيدنا محمد وآله وصحبه . . . وبعد :

يطيب لنا أن نقدم بين يدى القارىء الكتاب الثانى من أحاديث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر فى شهر رمضان تحت عنوان ـ مع القرآن الكريم ـ نعايش فيها ـ ابتداء ـ هدى النبى الكريم ، وخلقه القرآنى ، وسلوكه الربانى ورحمته العامة الشاملة وباهر معجزاته .

ثم ينتقل بنا فضيلته إلى الحديث عن (القرآن والأخلاق) وعن (مفاهيم حول القرآن) و (منهج التدين فى الإسلام) ويختتم هذه السلسلة بـ (موضوعات متفرقة) يهم كل مسلم أن يتعرف على حقيقتها كى يسلك الطريق الصحيح إليها ويدرك الفهم الدقيق لمعانيها بعيدا عن الأفكار المضللة التى تجاذبتها الأقلام فجنحت بها يمينا ويسارا بين تفريط وإفراط ، وبين غلو وتساهل حتى تاهت

الحقيقة أو كادت تلتبس على كثير من المسلمين فى وسط هذا الخضم من التحديات المعاصرة التى تواجه الذين يعتنقون الإسلام كدين سماوى شَرَعَهُ الحكيم الخبير لصالح البشرية فى كل زمان ومكان .

وقد وضح فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الحكم الصحيح فى الإسلام فى هذه المسائل ومن بينها مشكلات الشباب وسمات الحلال والحرام ، وقد أفرد ـ فضيلته فصلين عن « القرآن والانسان » و « القرآن والمرأة » فأدلى بالأحكام الصحيحة التى تقضى على ما يثيره غير المتخصصين من (هوى) يريدون جعله (حكما) يلزمون به الناس مما جعل بعض الأمور يتجاذبها الافراط والتفريط شأن كل أمر يتوسده غير من هو له ، إلى غير ذلك مما يجده القارىء فى هذا الجزء من الكتاب .

والأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف وهى تقدم هذا الجزء الثانى من كتاب ـ مع القرآن الكريم ـ لتبتهل إلى الله العلى القدير أن ينفع به بقدر ما بذل فيه من جهد أمين مخلص فى سبيل ترسيخ عقيدة المسلم على أساس متين من الفهم لكتاب الله تعالى ومقاصده والسنة النبوية الشريفة وأغراضها ، وهذا ما يكرس له شيخ الأزهر وقته وفكره .

ربنا واجعلنا من أهل القرآن الذين توحدت قلوبهم بشرعة الإسلام وتزكت نفوسهم بهدى خير الأنام حتى نكون من أهل الله وخاصته .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . .

الأمين العام
للجنة العليا للدعوة الاسلامية
(محمد أمين البدوى)

« النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى القرآن »

قال الله ـ تعالى ـ فى (سورة الأحزاب) :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (١)

* * *

الأنبياء أول الدعاة إلى الله ، وهم صفوة الخلق ، وأفضل البشر . اختارهم الله ـ سبحانه ـ وهو العليم الخبير :

﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (٢)

وطبائع الأنبياء البشرية . تأتى فى أعلى وأنقى مراتبها ، فهى فوق المستوى الذى يألفه الناس لدى علية القوم ، مهما بلغ هؤلاء من مراتب الفضل .

ذلك ما يشير إليه قول الله ـ سبحانه ـ فى (سورة القصص) :

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (٣)

---

(١) الآيتان ٤٥ ، ٤٦ سورة الأحزاب
(٢) الآية ١٢٤ سورة الأنعام
(٣) الآية : ٦٨ سورة القصص

ومن ثم كان النظر إلى الأنبياء ـ عليهم السلام ـ من جهة بشريتهم المطلقة ـ وفقط ـ خطأ وتجاوزا لقدرهم .

ولقد اصطفى الله ـ سبحانه ـ محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ نبيا ورسولا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا . يهدى به الله من اتبع رضوانه إلى الدين الحق ، وإلى الصراط المستقيم .

فهو ـ صلى الله عليه وسلم ـ أشرف الخلق وأكرم البشر ، يشير إلى هذا قول الله ـ سبحانه ـ فى (سورة الإسراء) :

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ (١)

أى إن بشريته ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشرية رسالة ، وإن رسالته التى بعث بها رسالة يطيقها البشر ، وقد جاء لهدايتهم .

ولقد استغرقت صفات الرسالة لديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كامل الطباع البشرية فى تكوينه .

ومن ثم كان وصفه فى كثير من آيات القرآن . بصفة الرسالة وحدها . من هذا قول الله ـ سبحانه ـ فى (سورة البقرة) :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ (٢)

---

(١) الآية : ٩٣ سورة الإسراء — (٢) الآية : ١٤٣ سورة البقرة

وفى ذات السورة :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ (١)

وفى (سورة النساء) :

﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ (٢)

وفيها :

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ (٣)

وإذا كانت آيات القرآن الكريم قد توافرت على وصف محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالرسول وخطاب الله إياه بهذا الوصف فى التكليف أمرا ونهيا ، وفى خطاب الناس أمرا باتباع الرسول . إذا كان ذلك سبيل الله فى القرآن الكريم مع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان الذين يفيضون فى وصف محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بمعانى البشرية المحضة خاطئين ، وكانوا ممن آذوا الله

---

(١) الآية : ٢٨٥ سورة البقرة (٢) الآية : ٥٩ سورة النساء

(٣) الآية : ٦٤ سورة النساء

ورسوله ، وهؤلاء قد توعدهم الله فى القران الكريم . بسوء الحال والمآل ، فقال ـ فى (سورة التوبة) :

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١)

وفى سورة الأحزاب :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ــــــــــــ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ (٢)

ولقد عهد الله إلى المسلمين بتوقير الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتعظيمه ، وجعل هذا واجبا مفروضا . فقال ـ سبحانه ـ فى (سورة النور) :

﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ ــــــــــــ
بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ (٣)

أى لا تنادوا رسول الله باسمه المجرد عن الرسالة أو النبوة ؛ بل يكون خطابه ونداؤه بهذا الوصف ـ الرسالة أو النبوة ـ كما خاطبه الله بها ، فقال ـ فى الكثير من الآيات : يا أيها النبى ، ويا أيها الرسول ؛ بل إن القرآن لم يوجه إليه خطابا إلا نداء بوصف الرسالة أو النبوة .

---

(١) الآية : ٦١ سورة التوبة (٢) الآية : ٥٧ سورة الأحزاب
(٣) الآية : ٦٣ سورة النور

وفى سورة الحجرات . أمر بآداب أخرى فى خطاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد قال الله سبحانه :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ﴾ (١)

فما أحوجنا نحن المسلمين ـ اليوم ـ إلى استحضار هذه الآداب التى نزل بها القرآن نحو النبى ﷺ ، والالتزام بها عندما نتحدث عنه وعن رسالته وعن أخلاقه ، وعن شئونه ، فنحفظ له مكانه ومكانته التى حرص القرآن الكريم على تبيانها لأصحابه . فالتزموا بها جملة وتفصيلا .

---

(١) من الآية : ١ ـ ٥ سورة الحجرات

ولعله بهذا يتضح خطأ أولئك الذين يتحدثون ، أو يكتبون عن الرسول ﷺ . بذكر اسمه غير مسبوق بالرسول أو النبى أو متبوع بالصلاة والسلام عليه ، وأن على هؤلاء أن يلتزموا بما التزم به القرآن ، ففى سورة المائدة :

﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ (١)

وفيها أيضا :

﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ (٢)

وفى سورة الأنفال :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣)

وغير هذا نجد الكثير فى آيات القرآن الكريم .

وعندما ورد اسمه فى بعض الآيات مجرداً . أتبع ذلك بوصف النبوة أوالرسالة . من ذلك قوله ـ تعالى ـ فى سورة الفتح :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٤)

---

(١) الآية : ٦٧ سورة المائدة (٢) من الآية : ٤١ سورة المائدة

(٣) الآية : ٦٤ سورة الأنفال . (٤) من الآية : ٢٩ سورة الفتح

وقوله - تعالى - فى سورة الأحزاب :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾(١)

وقوله - سبحانه - فى سورة آل عمران :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾(٢)

ذلكم بعض حديث القرآن الكريم عن الرسول محمد ﷺ والأدب معه وفى الحديث عنه . .

وقال الله - تعالى - فى (سورة الأحزاب) :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(٣)

لقد كرم الله - سبحانه - الرسول محمداً ﷺ وأكرمه ، ورفع ذكره وأمر بالصلاة والتسليم عليه أمراً عاما غير محدود بعدد ، ولا بوقت على ما يستفاد من هذه الآية الكريمة .

وفى معنى الصلاة على رسول الله قال ابن عباس - رضى الله عنه - :

« يصلون على النبى » يُبَرِّكون .

---

(١) الآية : ٤٠ سورة الأحزاب (٢) الآية : ١٤٤ سورة آل عمران

(٣) الآية : ٥٦ سورة الأحزاب

وفى تفسير العلماء :

أن الصلاة من الله - تعالى - على غير رسول الله محمد ﷺ رحمة ، وعلى النبى ﷺ تشريف وزيادة تكريم .

أما صلوات الرسول ﷺ بالنسبة للمؤمنين فهى الدعاء لهم . كما جاء - فى (سورة التوبة) :

﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ (١)

أى ادع لهم . وصلاة الله للمسلمين أى تزكيته وتطهيره إياهم . .

يشير إلى هذا قول الله سبحانه فى (سورة الأحزاب) :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ (٢)

أى أن الله سبحانه يزكى المؤمنين ويطهرهم ويخرجهم من الظلمات إلى النور . .

وأما صلاة الله والملائكة على النبى ﷺ فهى المباركة والتمجيد ورفع الذكر والمقام .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (٣)

---

(١) الآية : ١٠٣ سورة التوبة　　(٢) الآية : ٤٣ سورة الاحزاب

(٣) من الآية ٥٦ سورة الاحزاب

أى يا أيها المؤمنون . ادعوا الله للنبى بالتمجيد ، والتبريك والتعظيم . .

فالواجب على كل مسلم ، ومسلمة الصلاة والتسليم على النبى ﷺ نزولا على أمر الله ـ سبحانه ـ فى هذه الآية : وأن يكثر المرء من ذلك .

وإلى هذا ذهب الإمام مالك وأصحابه وغيرهم من أهل العلم فقالوا : (إن الصلاة والسلام على النبى ﷺ فرض فى الجملة بعقد الإيمان ، وتتعين فى الصلاة المفروضة خمس مرات فى اليوم والليلة) .

وقال أصحاب الشافعى :

(الفرض فى الصلاة على النبى ﷺ هو الذى أمر به الله ورسوله فى الصلاة . أما فى غيرها فلا خلاف فى أنها غير واجبة) .

وفى فقه الإمام الشافعى :

(أن من لم يصل على النبى ﷺ بعد التشهد الأخير فى الصلاة . قبل السلام . فسدت صلاته وعليه إعادتها) .

وهذا موافق لما روى عن الإمام أبى جعفر محمد بن على ابن الحسين بن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنهم ـ إذ قال أبو جعفر : (لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبى ﷺ لرأيت أنها لا تتم) .

والصلاة والسلام على النبى ﷺ فى التشهد ـ قبل السلام ـ مرغوب فيها عند أهل العلم جميعا ، وهى كذلك مرغوب فيها عند الدعاء . .

فقد نقل عن عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قوله : (إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئا . فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله ، ثم يصلى على النبى ﷺ ، ثم يسأل الله ، فإنه أجدر أن ينجح) . .

وأركان الدعاء :

حضور القلب ، والرقة ، والاستكانة ، والخشوع ، وتعلق القلب بالله ـ سبحانه ـ .

وأجنحة الدعاء : الصدق .

ومواقيته : الأسحار .

ومدخله : الصلاة على النبى ﷺ .

وروى عن ابن عباس قوله :

إذا دعوت فقل : (اللهم استجب دعائى ، ثم صَلِ على النبى ﷺ فتقول : اللهم صَلِ على محمد . عبدك ونبيك ورسولك . أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين . آمين) .

هــذا :

ومن مواطن الصلاة على النبى ﷺ . أن تصلى عليه عند ذكره وسماع اسمه ، وعند كتابته ، وعند الأذان .

ومن ثم . فان الذين يكتبون حرف (ص) عقب كتابة اسمه لم يؤدوا ما أمر الله به من الصلاة على النبى ﷺ .

روى الترمذى والحاكم أن النبى ﷺ قال :

« رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علىّ ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر . أو كلاهما فلم يدخلاه الجنة » .

وفى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه :

« من صلى علىّ واحدة صلى الله عليه بها عشرا » .

لقد كرمه الله وأكرمه فلقد أخذ الله له العهد على جميع الأنبياء ـ عليهم السلام ـ .

ففى (سورة آل عمران) :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ

بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ (١)

وإصرى أى : عهدى .. وهو ﷺ دعوة إبراهيم - عليه السلام - .

ففى (سورة البقرة) :

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ (٢)

وهو بشارة عيسى - عليه السلام - .

ففى (سورة الصف) :

﴿ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ ﴾ (٣) ﷺ .

وهو خاتم النبيين والرسل الكرام ، ودينه خاتم الرسالات النبوية السماوية .

ففى (سورة الأحزاب) :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ ﴾ (٤)

---

(١) الآية : ٨١ سورة آل عمران — (٢) الآية : ١٢٩ سورة البقرة

(٣) من الآية : ٦ سورة الصف — (٤) من الآية : ٤٠ سورة الأحزاب

وقد شرح الله صدره ، ويسر له أمره ، وأعلى ذكره :

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ (١)

- صلى الله عليه وسلم - سيدنا رسول الله محمد ، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيراً .

وقد قرر القرآن أن الرسول ﷺ بشر مثل من سبقه من الرسل ، ذلك قوله - تعالى - فى (سورة الكهف) :

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ (٢)

وقوله - تعالى - فى (سورة الأحقاف) :

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (٣)

ولما جادله قومه وسألوه أن يأتيهم بما يعجز عنه الناس أوحى الله اليه قرآنا يجيب به مقررا أنه لم يخرج عن كونه بشرا ، نرى هذا الحوار فى قوله - تعالى - فى (سورة الإسراء) :

﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا

---

(١) سورة الشرح ١ - ٤ (٢) من الآية : ١١٠ سورة الكهف

(٣) من الآية : ٩ سورة الاحقاف

زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (١)

نعم . . إن محمدا بشر رسول ، أكد القرآن ذلك ، وسجله فى غير موضع من آياته . ذلك قول الله فى (سورة البقرة) :

﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

وفى (سورة التوبة) :

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (٣)

ولأنه بشر ، فله خصائص البشر . يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، ويتزوج النساء ، ويولد له ، كما كان لمن سبقه من الرسل أزواج وذرية ، وهو رسول الله يبلغ آياته وأحكامه ،

---

(١) من الآيات : ٩٠ ـ ٩٣ سورة الإسراء
(٢) الآية : ١٥١ سورة البقرة
(٣) الآية : ١٢٨ سورة التوبة

ويجتهد فيما يقع من حوادث ، فيقره الله على اجتهاده أو يعاتبه الله عليه ، كما فى قصة أسرى « بدر » ، وإطلاقه سراحهم بالفدية . . وكما فى قضية تزوجه ﷺ بمطلقة ابنه بالتبنى ، تشريعا للأمة بتحريم التبنى وبإبطال ما كان عرفاً عند العرب ، فيما وقع من رسول الله مع واحدة من أزواجه ، وتحريمه على نفسه بعض ما أحل الله إرضاء لها ، بل وعتاب الله رسوله فى شأن عبدالله بن أم مكتوم .

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ ﴾ (١)

نعم . . إنها تذكرة ، وفقه لأمة القرآن ألا يعرضوا عن ضعفائهم وفقرائهم الذين امتلأت قلوبهم إيمانا ويقينا بهذا القرآن ، أملاً فى استجابة من أعرض ونأى بجانبه . إنها تذكرة لهؤلاء الذين اصطنعوا المراء والجدل وتشكيك المؤمنين .

نعم . . إنها دعوة وجهها الله ـ سبحانه ـ لرسوله ومن ورائه الدعاة إلى الإسلام ألا تعرضوا عن تعليم طالب العلم المخلص فى طلبه ، تصحيحا لعقيدته وتثبيتا لإيمانه ، وتعليما لأحكامه ، التفاتا

---

(١) من الآية : ١ ـ ١٢ سورة عبس

وأملا فى أولئك الذين انغلقت قلوبهم عن ذكر الله ، والفقه فى دينه .

وإذا كان القرآن قد قرر بشرية رسول الله محمد ﷺ الذى أوحى اليه هذا القرآن ، وأنه يجرى عليه ما يجرى على سائر البشر فى لوازم الحياة البشرية ومتطلباتها . فإن القرآن أعلمنا أن هذا الرسول ليس بشرا عاديا على المستوى الذى عرف بين الناس ، وإنما كان إنسانا اختصه الله بما هيأه لتلقى الوحى وملاقاة الملك ، وأضفى عليه ما أعده لتحمل الأمانة وأداء الرسالة الخاتمة لرسالات الله إلى خلقه ، فأحاطه بعنايته منذ طفولته ، فنشأ مرعيا من الله ، كما تحدث القرآن .

ففى (سورة الضحى) :

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[1]

وأعطاه ما يكسب به مودة الناس ، وتقديرهم وارتباطهم به .

ففى (سورة آل عمران) :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾[2]

---

(١) الآيات من : ٦ ـ ٨ سورة الضحى (٢) من الآية : ١٥٩ سورة آل عمران

ثم تعهدهُ الله بالرعاية والحماية بعد الرسالة .

ففى (سورة النساء) :

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (١)

وفى (سورة الإسراء) :

﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ (٢)

ويسبغ الله على رسوله حمايته حين أمره بالبلاغ والإبلاغ للناس . ذلك قول الله ـ تعالى ـ فى (سورة المائدة) :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ (٣)

---

(١) الآية : ١١٣ سورة النساء (٢) الآية : ٧٤ سورة الإسراء .
(٣) من الآية : ٦٧ سورة المائدة

نعم . . قد عصم الله نبيه محمدا ﷺ من الناس . فكم حاول المشركون التعدى عليه والقضاء عليه ، يظهر ذلك جليا مما دار بين رسول الله وبين أعدائه من معارك . حفظه الله ، ودافع عنه ، ومهد له سبيل النصر والفوز .

أدب الدعوة كما علم الله رسوله فى القرآن*

لنتلوا قول الله فى (سورة يونس) :

﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴾ (١)

هذه مهمته فى الرسالة ، والدعوة إلى دينه الذى كلفه الله بإبلاغه ، ثم رسم له طريق الدعوة وذلك فى قوله ـ تعالى ـ فى (سورة النحل) :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (٢)

ويقدم لنا القرآن فى الكثير من الآيات لغة العرض والحوار بين الرسول وأولئك الذين تلقوا عنه الدين .

ففى (سورة الزمر) :

---

(١) الآية : ١٠٨ سورة يونس (٢) من الآية : ١٢٥ سورة النحل

أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ ﴾(١)

وهذا من الله نداء إلى الناس بوجوب إكرام الضيف الطارق وإن كان غير معروف.

ومن هنا كان حث الإسلام أيضا على الإحسان إلى ابن السبيل أى المسافر وإكرامه ، ومن سماحة الإسلام مرونة قواعده ؛ إذ أنه باعتباره الدين الخاتم فصل بعض الأحكام التشريعية ، وأجمل الأخرى فى قواعد تتسع لاحتواء كل الواقعات التى تجد وتحدث فى كل زمان ومكان .. حتى لا يقع الناس فى الحرج وتضيق عليهم المسالك ..

وقد كان القرآن واضحا فى تقرير ذلك . ففى (سورة المائدة) قول الله ـ سبحانه ـ :

﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾(٢)

---

(١) الآيات : ٢٤ ـ ٢٦ سورة الذاريات

(٢) الآية : ٦ سورة المائدة

الدين من الحضارة

يعنى بلفظ الحضارة : تلك الأسباب ، والأدوات ، والمظاهر التى تنقل الجماعة الفطرية إلى مستوى من الحياة تتوافر فيه الراحة الحسية والتقدم العقلى للإنسان .

ويتضح هذا المعنى الإجمالى للحضارة حين ننظر إلى مظاهر المدنية الحديثة : من القطار إلى الطائرة و (التليفون) و (التلغراف) وتوابعها من وسائل المواصلات والاتصالات ، وآلات الطباعة التى يسرت لأجيال الإنسان فرص التثقيف والتعليم ، ومثلها كافة المخترعات الكهربائية ؛ والحرارية والكيمائية إذ أن طبيعة الاستشراف عند الإنسان لا توقف طموحه عند العلوم النظرية ، وإنما يمتد طموحه إلى طلب ما فيه نفعه ، ودفع مافيه إضرار به ، والعلوم فى جملتها أداة تطبيقية نافعة : كالهندسة والطب والزراعة والصناعة فى السلم والحرب ، وشتى ما يحتاج إليه الناس .

وهذا يقال أيضا فى أخلاق المجتمعات ، فقواعد الأخلاق فى العالم سواء كان مصدرها الدين أو العادات ، وهذه القواعد لم توضع لذاتها ، وإنما وضعت وسيلة لحياة فاضلة .

وما يعنينا هو : ما موقف الدين من الحضارة ؟

﴿ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ ﴾ (١)

وهذا من الله نداء إلى الناس بوجوب إكرام الضيف الطارق وإن كان غير معروف .

ومن هنا كان حث الإسلام أيضا على الإحسان إلى ابن السبيل أى المسافر وإكرامه ، ومن سماحة الإسلام مرونة قواعده ؛ إذ أنه باعتباره الدين الخاتم فصل بعض الأحكام التشريعية ، وأجمل الأخرى فى قواعد تتسع لاحتواء كل الواقعات التى تجد وتحدث فى كل زمان ومكان . . حتى لا يقع الناس فى الحرج وتضيق عليهم المسالك . .

وقد كان القرآن واضحا فى تقرير ذلك . ففى (سورة المائدة) قول الله ـ سبحانه ـ :

﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ﴾ (٢)

---

(١) الآيات : ٢٤ ـ ٢٦ سورة الذاريات

(٢) الآية : ٦ سورة المائدة

الدين من الحضارة

يعنى بلفظ الحضارة : تلك الأسباب ، والأدوات ، والمظاهر التى تنقل الجماعة الفطرية إلى مستوى من الحياة تتوافر فيه الراحة الحسية والتقدم العقلى للإنسان .

ويتضح هذا المعنى الإجمالى للحضارة حين ننظر إلى مظاهر المدنية الحديثة : من القطار إلى الطائرة و (التليفون) و (التلغراف) وتوابعها من وسائل المواصلات والاتصالات ، وآلات الطباعة التى يسرت لأجيال الإنسان فرص التثقيف والتعليم ، ومثلها كافة المخترعات الكهربائية ؛ والحرارية والكيمائية إذ أن طبيعة الاستشراف عند الإنسان لا توقف طموحه عند العلوم النظرية ، وإنما يمتد طموحه إلى طلب ما فيه نفعه ، ودفع مافيه إضرار به ، والعلوم فى جملتها أداة تطبيقية نافعة : كالهندسة والطب والزراعة والصناعة فى السلم والحرب ، وشتى ما يحتاج إليه الناس .

وهذا يقال أيضا فى أخلاق المجتمعات ، فقواعد الأخلاق فى العالم سواء كان مصدرها الدين أو العادات ، وهذه القواعد لم توضع لذاتها ، وإنما وضعت وسيلة لحياة فاضلة .

وما يعنينا هو : ما موقف الدين من الحضارة ؟

لا شك فى أن اتصال الدين بالحضارة ، إنما يتوقف على مدى نظرة الدين لحياة الإنسان ، ومدى ما يقدمه من توجيهات مؤثرة فى انتظام هذه الحياة .

وحين ننظر فى الحضارة الإسلامية ، نرى أنها ليست نتاجا محليا للعرب فى جزيرتهم ، وإنما هى حضارة ارتبطت بالإسلام وبالمسلمين على اختلاف شعوبهم ولغاتهم ، وقد اختلطت بحضارات أخرى لأمم دخلت فى الإسلام وتبلورت هذه الحضارات واصطبغت بالإسلام الذى استبعد منها مالا يتفق مع عقيدته وشريعته ؛ لأنه دين شامل سمته التوافق العام بين الناحية الخلقية ، والناحية المادية فى الإنسان .

فقد رغب فى العلم والتعليم ، وكان أول ما نزل من القرآن وحيا على الرسول محمد ﷺ آيات تنبه إلى فضل القلم والعلم وأن الله هو معلم الإنسان كما جاء فى سورة العلق . . (إقرأ) . .

ولقد رسم القرآن المنهج العلمى لاكتساب العلم والمعرفة وأَقَامَهُ على دعامتين :

إحداهما : الاستفادة من تجارب الآخرين سواء كانوا سابقين أم معاصرين بالاستماع إليهم وبالانتفاع بآثارهم .

والدعامة الأخرى : استعمال العقل والتجربة فى طلب الحقيقة لنهتدى إلى مالم يهتد إليه غيرنا .

ونرى القرآن قد عبر عن (الدعامة الأولى) بالنظر والسماع ، وعن (الدعامة الأخرى) بالعقل وبالقلب . كما جاء فى (سورة الحج) و (سورة ق) و (سورة الملك) .

ولقد وضع القرآن لكل دعامة من هذه الدعامات ضوابط دقيقة تستخلص من نصوص الآيات المشار آنفا إلى سُوَرِها .

هذا : ولم يحصر الإسلام العلم والمعرفة فى طائفة من الناس أيا كان الموضوع دينيا صرفا ، أو متعلقا بشئون الحياة الإنسانية ، وإنما جعل ذلك مشاعا بين الناس جميعا يصل إليه كل من توافرت لديه الوسائل لاكتساب العلوم والمعارف من مصادرها الصحيحة .

وبذلك دفع الإسلام الإنسان إلى مجال العلوم ، وفتح أمامه هذا الكون : أرضه وسماءه وبحاره وأنهاره . لم يمنعه من ارتياد أى شىء فيه بعقله إلا فى نطاق واحد لا يحتمله هذا العقل ، ويضل فيه ذلك هو ذات الله ـ سبحانه ـ وما استأثر به علم الله من الأمور الغيبية ومن هنا كان إرشاد رسول الله محمد ﷺ فى قوله :

(تفكروا فى مخلوقات الله ولا تفكروا فى ذات الله فتضلوا) .

بهذه الكلمات الموجزة يتضح مدى الارتباط بين الإسلام وبين

الحضارة ، ومن ثم يمكن رد أصول الحضارة الإسلامية إلى عنصرين : ـ

أحدهما : إسلامى بحت لم ينقل من حضارة أخرى ، ولا التمس تعاليمه من عوامل أجنبية سابقة .

وهذا يتمثل فى القرآن والحديث الذى نقل عن الرسول ﷺ واللغة العربية التى نزل بها القرآن ، وكانت لغة الرسول والرسالة .

وهذا العنصر يشمل اللغة العربية بكافة فروعها ، وعلوم الفقه (القانون) وأصوله ، والأخلاق والتربية ، وأمثالها من العلوم التى نشأت أصيلة حول القرآن والحديث النبوى الشريف ، وفى حضانة الاسلام .

والعنصر الآخر :

ويتمثل فى العلوم التجريبية والرياضية والفلسفية ، ويكاد مؤرخو علوم المسلمين من طب وكيمياء ورياضيات وفلسفة يقسمون ما وصل إليه المسلمون إلى قسمين :

أحدهما : ما أخذوه عن اليونان فى الأكثر ، وعن الهند فى الأقل .

والقسم الآخر : ما ابتكره المسلمون أنفسهم . ومع هذا فقد كان للإسلام الأثر الأكبر فى توجيه ما أخذه المسلمون من

الحضارات الأخرى من العلوم والفنون ومزجه بثقافة القرآن والسنة وتعاليمهما.

ولا شك أنه كان لدى العرب ـ قبل الإسلام ـ بعض العلوم والفنون حيث كانوا على معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها، ولكن لا على سبيل تأصيل العلوم وتعلم حقائقها، وإنما معرفة تجريبية لاحتياجهم إليها فى معرفة أسباب المعيشة وكذلك الطب الإنسانى والحيوانى، ولديهم الأطباء من ذات أنفسهم بطول التجربة والممارسة، وليس بأصول علمية مدرسية.

وقد كان فن العمارة لدى المسلمين استمدادا مما رأوه من آثار الأمم القديمة التى دخلت فى الإسلام، ثم أخذت الحضارة الإسلامية بخصائصها تأخذ عنوانها منذ بداية القرن الرابع الهجرى فى الشرق الإسلامى وفى القرن الخامس الهجرى فى المغرب الإسلامى.

والاسلام يتسع لكل التطورات الحضارية فى نطاق ما استجاب لعقيدته وشريعته، وما يسد نقصا فى ضرورات الناس وحاجاتهم، والتجديد فى الحضارة الإسلامية يتجه نحو الكمال، ويحفظ القيم الأساسية الإسلامية، وينميها.

وهذا هو القرآن الكريم ـ كتاب الإسلام ـ قد جعل العلم بمفهومه الشامل؛ أهم مجال يتحرك فيه المؤمن، فالزراعة علم

والصناعة علم ، والتجارة علم ، والسياحة علم يتعرف به السائح فى الأرض علومَ وفنونَ غيرِه وأخلاقهم وعاداتهم ؛ ليكتسب منها ما يفيده فى حياته الإنسانية .

وبهذا تتبادل الحضارات والخبرات فى كل مجال .

إن القرآن عطاؤه دائم ومتجدد ؛ فأقبلوا أيها المسلمون على القرآن فى كل وقت والزموه ، لاسيما فى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ، أَقْبِلُوا عليه تلاوة ومدارسة وتفقها ، وخذوا من علومه والتزموا بأحكامه .

احفظوه فى الصدور ، وتوارثوا حفظه ، فإنه كلام الله إلى الناس . . واستمعوا واستمتعوا بآياته ؛ فقد وصف الله ـ سبحانه ـ القرآن فقال :

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[1]

---

(١) الآية : ٩ سورة الإسراء

سمات الحلال والحرام

وبعد أن هدأت موجة الفتاوى فى الغناء والموسيقى وأمثالها أو كادت وتتابعت المقالات ، وتكاثرت الأحاديث ، كان لابد من بيان الحق الذى تاه بين هذه وتلك .

الحلال : هو المباح الذى أذن الشارع فى فعله ، ولم يرد أمر بحظره ، أو هو : ماليس ممنوعا منعا باتا بدليل شرعى ؛ فهو أعم من المباح .

والحرام : هو الذى نهى الشارع عن فعله نهيا قاطعا ؛ بحيث يتعرض من خالف النهى لعقوبة الله فى الآخرة ، وقد يتعرض لجزاء شرعى فى الدنيا . ومن ثم فالحلال والحرام فى الإسلام متقابلان ، على ما تفصح عنه نصوص القرآن والسنة ، مثل قوله - تعالى - فى (سورة النحل) :

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ (١)

وقول رسول الله ﷺ الذى رواه أحمد والنسائى عن أبى موسى الأشعرى فى شأن الذهب والحرير .. (هذان حل لنساء أمتى محرم على ذكورهم) .

---

(١) من الآية : ١١٦ سورة النحل

والمكروه تحريما : ما كان إلى الحرام أقرب ، وكان النهى عنه غير قاطع .

والمكروه تنزيها : هو فعل خلاف الأولى .

والمحرمات : منها ما هو محرم لذاته ، وهو ما جاء تحريمه قاطعا ، كالخمر والميتة والخنزير والقمار والميسر وغيرها من المحرمات فى الزواج وفى الأموال ، والأقوال ، والأفعال ، ونحو ذلك .

ومنها ما كان محرما لما يقترن بها ، أو ما تؤدى إليه من باب سد الذرائع ومثال هذه الأخيرة ما جاء فى قوله تعالى فى (سورة الأنعام) :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (١)

حيث وجه الله المؤمنين فى هذه الآية إلى أن يتعاملوا مع غيرهم بأدب ؛ فلا يسبوا آلهتهم مخافة أن يردوا بسب الله - سبحانه . .

فهو نهى وتحريم من باب سد الذرائع .

ولقد حدد الإسلام أمر الحلال والحرام وأقامَهُ على مبادىء من صنع الله - سبحانه - . واستنبط علماء المسلمين من آيات الله - عز وجل - فى كتابه فى هذا الشأن ما يلى من المبادىء :

---

(١) من الآية : ١٠٨ سورة الأنعام

١ - أن الأصل فيما خلق الله من أشياء ومنافع هو الحل والإباحة، وأن الحرام لا يكون إلا بنص صحيح وصريح . يدل لهذا ما جاء فى (سورة البقرة) من قول الله - تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ (١)

وفى (سورة لقمان) :

﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (٢)

وفى (سورة الجاثية) :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ (٣)

وأن مقتضى تسخير الله للإنسان كل ما خلقه أنه أحله ، وأنه خلقه له ، وأنعم به عليه ، وما حرمه من هذه المخلوقات كان لحكمة وبأمر صريح وواضح ، فما لم يجىء نص محرم كان الحل والإباحة .

وفى بيان هذا جاء قول الرسول ﷺ من حديث أبى الدرداء الذى رواه الحاكم وصححه :

---

(١) من الآية : ٢٩ سورة البقرة (٢) من الآية : ٢٠ سورة لقمان
(٣) من الآية : ١٣ سورة الجاثية

(ما أحل الله فى كتابه فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو ، فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن ينسى شيئا) .

وتلا قول الله ـ تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[1]

وهذه القاعدة : (إن الأصل الحل والإباحة) ليست قاصرة على الأشياء والأعيان فحسب ؛ بل تمتد فتشمل الأفعال والتصرفات مما يدخل تحت (العادات والمعاملات) .

أما العبادات : فإنها من أمر الدين المحض الذى لا يؤخذ إلا عن طريق الوحى . فلا يعبد الله إلا بما شرع .

أما العادات والمعاملات فهى من صنع الناس ، والشارع يصحح ما انحرف منها أو يهذبها ، ويقر الصالح منها .

٢ ـ إن التحليل والتحريم مختص بالله ـ وحده ـ ذلك ما يشير إليه قول الله ـ سبحانه ـ فى (سورة يونس) :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾[2]

(١) من الآية : ٦٤ سورة مريم (٢) الآية : ٥٩ سورة يونس

وقوله ـ تعالى ـ فى (سورة النحل) :

﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (١)

ومن هذه الآيات وغيرها وأحاديث رسول الله ﷺ عرف المسلمون أن التحريم والتحليل إنما يكون بحكم الله فى كتابه ، أو على لسان رسوله ﷺ .

ولقد درج الأئمة المجتهدون على أن يقولوا فى الفتوى ـ فيما لم يرد فيه نص بالحل أو بالتحريم : هذا أكرهه ، أو لا أحبه ، أو لا يعجبنى ، أو لا أستحسنه ، توقيا من أن يقولوا بغير ما جاء فى القرآن وثبت من السنة .

٣ ـ تحريم الحلال ، وتحليل الحرام كالشرك بالله تعالى :

ففى الحديث القدسى الذى رواه مسلم فى صحيحه .

(إنى خلقت عبادى حنفاء ، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا مالم أنزل به سلطانا) .

---

(١) الآية : ١١٦ سورة النحل

٤ ـ التحريم أساسه الخَبث والضرر فى كل ما حرم من شىء أو عين أو قول أوفعل أو عادة أو معاملة .

ففى (سورة الأعراف) قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ (١)

قوله ـ سبحانه ـ فى ذات السورة :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

وفى (سورة المائدة) قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ (٨٨) ﴾ (٣)

---

(١) من الآية : ٣٢ سورة الأعراف (٢) الآية : ٣٣ سورة الأعراف

(٣) الآيتان : ٨٧ ، ٨٨ سورة المائدة

وإذا تتبعنا آيات التحريم فى القرآن نجدها قد فصلت المحرمات ، وأمرت بالبعد عنها تشريعا من الله فهو - سبحانه - الحكيم الرحيم بعباده وكما قال - تعالى - فى (سورة البقرة) :

﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ﴾ (١)

٥ - فى الحلال ما يغنى عن الحرام ، فقد حرم الله الربا ، وأحل التجارة الرابحة ، وحرم الجلوس إلى السحرة والمنجمين وشرع (الاستخارة) ، وحرم القمار والميسر ، وأباح المسابقة بالخيل والإبل والسهام ، وغير هذا من المسابقات المشروعة ، فكل محرم نجد له بديلا مباحا حلالا طيبا .

٦ - ما أدى إلى الحرام كان حراما . ذلك أن الإسلام حين يحرم أى شىء يحرم ما يفضى إليه من وسائل فحين حرم الزنا حرم مقدماته من تبرج النساء وعريهن ، والخلوة بين المرأة وغير زوجها ومحارمها ، والاختلاط العابث ، والصور العارية ، والغناء الفاحش ، إذ كل أولئك من دواعى هذا الفساد .

وحين حرم الخمر لعن شاربها وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها .

وفى الربا لعن معطيه ، وآكله ، وكاتبه ، وشاهديه .

---

(١) من الآية : ٢٢٠ سورة البقرة

٧ ـ التحايل على الحرام حرام :

وهذا التحايل يصور بعض مثله قول رسول الله ﷺ الذى رواه الإمام أحمد (ليستحلن طائفة من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها).

وقوله :

(يأتى على الناس زمان يستحلون الربا بالبيع)[1].

ومن قبيل ما شاع من تغيير لاسم المحرمات فى هذا العصر :

إطلاق اسم الفن على أنواع من الرقص الخليع ، والغناء الفاحش والتصوير الماجن ، وإطلاق اسم (المشروبات الروحية) على أنواع الخمور ، وتسمية الربا بالفائدة .

وكلمة الفن تطلق ويراد بها التطبيق العملى للنظريات العلمية بالوسائل التى تحققها ويكتسب بالدراسة والمرانة ، كما تطلق على جملة الوسائل التى يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف ، وبخاصة : عاطفة الجمال كالتصوير والموسيقى والشعر ، والغناء ، والتمثيل ، وشاعت عرفا فى هذه المتنوعات الأخيرة .

وهذا : والنية الحسنة لا تبرر الحرام ولا تحله ؛ فالحرام محرم مهما حسنت نية فاعله ، وشرف قصده ، ولا يقر الإسلام أن يتخذ

---

(١) رواه الأزواعى كما فى « نيل الأوطار » للشوكانى جـ ٥ أبواب الربا

الحرام وسيلة إلى غاية محمودة ؛ لأن الإسلام يحرص على شرف الغاية وطهر الوسيلة معا .

واتقاء الشبهات خشية الوقوع فى الحرام من واجب المسلم سداً للذرائع ، والإسلام قد بين الحلال والحرام فى الأطعمة والأشربة وفى اللبس ، وفى أدوات المنزل ، وفى الكسب والاحتراف ، وفى العلاقات الاجتماعية .

ومن المحرمات لغيرها : الغناء والموسيقى إذا صاحبها معصية أو كانت تدعو إليها ، وهذا باتفاق العلماء .

وأما المباح من الغناء والموسيقى فهو مالم يقترن أو يشتمل على منكر ، أو محرم بنص قطعى . فإذا وجدت الخمور والرقص والعرى والاختلاط غير العف مع الموسيقى والغناء حرم حضور هذه المجالس .

وهناك قيود فى الموسيقى والغناء لابد أن تراعى ، وإلا دخلت فى نطاق المحرم قطعا وهى :

١ ـ أن يكون موضوع الغناء مما لا يخالف أدب الإسلام وتعاليمه ، فالأغانى التى تمجد الموبقات والمحرمات وتدعو إليها محرمة أداء واستماعا .

٢ ـ إذا كان موضوع الأغنية والموسيقى غير مناف لتوجيهات الإسلام ولكن طريقة الأداء اتسمت بالتميع والتكسر ، وتعمد

إثارة الغرائز والإغراء بالفتن والشهوات ، والعرى والتبرج كانت محرمة أداء واستماعا ؛ ألا ترى أن الله ـ سبحانه ـ نبه إلى حظر هذا الصنيع من النساء . فقال ـ سبحانه ـ لأمهات المؤمنين فى (سورة الأحزاب) :

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾[1]

٣ ـ إن الإسلام يحارب الإسراف والغلو فى كل شىء حتى فى العبادة ، ومن باب أولى : الإسراف فى الله وتحت أى مسمى ؛ إذ لا شك أن الإسراف فى المباحات يأكل وقت الواجبات ، وقد قيل : (ما رأيت إسرافا إلا وبجانبه حق مضيع) .

٤ ـ هناك أشياء موكولة شرعا إلى ذات المسلم وتقديره ، فإذا وجد المسلم فى مكان فيه غناء أو موسيقى أوهما أو غيرهما مما يستثير غريزته ، ويغريه بالفتنة كان عليه أن يجتنبه بعداً عن الوقوع فى المحرمات .

٥ ـ من المتفق عليه أن يحرم الغناء والموسيقى إذا اقترن ذلك بمحرمات أخرى كشرب الخمر أو المخدرات أو كان فى المجلس خلاعة أو فجور إذ هذا هو ما نبه عليه حديث الرسول ﷺ وأنذر

---

(١) الآية : ٣٢ سورة الأحزاب

أهله وسامعيه بشديد العذاب ، ذلك ما رواه ابن ماجه :

(ليشربن أناس من أمتى الخمر يسمونها بغير اسمها ، يعزف على رءوسهم بالمعازف والقينات ، يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم القردة والخنازير) .

وإذا كان بعض الناس قد تحدث عن حل وحرمة الموسيقى والغناء بالإطلاق ، ومبيحا لكل هذا دون أية قيود ؛ فإن فى هذا الإطلاق ، مخالفة لنصوص الإسلام وأصوله .

إن هؤلاء الذين تنادوا إلى الإفتاء من كتب لم يعدها كاتبوها لتكون مرجعا موثقا للنصوص التشريعية فى الإسلام « كالأغانى » للأصفهانى وغيره ، قد فرطوا فى حق الإسلام ، وأفرطوا فى العرض على الناس بما أوقعهم فى الحيرة فى أمور الحلال والحرام فى الإسلام .

ومن أولئك فريق ذهبوا يرددون واقعات أجيزت من رسول الله ﷺ بضوابط تسلم بها الأخلاق ، كما تصان بها عفة المجتمع ، وكان على هؤلاء الذين تنادوا بها أن يسجلوا ما احْتَفَّ بها من قرائن ؛ فقد كان الغناء فى ذلك العصر التشريعى فى الأعراس فى مجتمع النساء ، لا خلطة فيه للرجال ولا يقترن بأية محرمات أخرى كالشرب المحرم ، والعرى الفاضح . وليكن معلوما أن الإسلام لا يمنع الترفيه فى المجتمع وإشاعة السرور ، والترويح عن

النفس ، بل لقد شرع ذلك فى أيام الأعياد ، وفى الأعراس ، ولقدوم الغائب ، وفى الوليمة ، وفى الحفاوة بالمولود بما يسمى العقيقة ، وإنما يحارب المجون الذى يحتف بكل تلك المناسبات .

وما يقال عن الغناء يسرى على التمثيل ، فهو من وسائل التثقيف وعلاج أدواء المجتمع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وفى ذات الوقت ترفيه ، لو أنه توجه إلى إبراز الإيجابيات فى حياة المجتمع بإيراد المثل الناجحة فى نواحى الحياة المختلفة حتى تكون مثلا تحتذى . وفجر السلبيات التى أوقفت ارتباط المجتمع بالأخلاقيات الرفيعة التى تغياها الإسلام ؛ بل وساقته إلى الانحدار والانحسار عن الفضيلة والفضائل ، فشاعت الأنانية بين الناس ، وتقطعت الروابط ، وسادت الأكاذيب والشائعات ، وخيانة الأمانات ، وغير هذا من السيئات .

إن التمثيل - لو أحسن استثماره - أداة صالحة للتربية العفة النظيفة . والقرآن الكريم قد ضرب لنا القصص والأمثال التى واجهت المثالب والمعايب ، وأوضح أثر الكلمة الطيبة وآثام الكلمة الخبيثة . كهؤلاء الممثلين الذين لا بضاعة لديهم إلا كلمات السخرية بأفراد وفئات متناسين أن الإسلام حرم السخرية بصريح القرآن حيث قال الله - تعالى - فى (سورة الحجرات) :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (١)

وبمناسبة التطرق إلى التمثيل :

فلقد قرأت (حديثا) لأحد السادة الفنانين فى إحدى المجلات المصورة تحدث فيه عن الفقه ، وعن مكتبته ، وعن المصالح المرسلة ، وإنه لأمر سار أن يعنى فنان ، بل وكل الفنانين ، بأن تكون لديهم كتب ومكتبات يستزيدون منها من شتى أنواع المعارف والثقافة . وأن تمتد ثقافة الفنان إلى المصطلحات الدقيقة فى علم أصول الفقه ، وربما إلى علم الفقه ذاته ، حتى يتعرف إلى الحلال فيستزيد منه فى فنه ، كما يتعرف على معالم المحرمات فيباعد بين نفسه وبينها ، وبين عرضها على الناس ؛ إذ هو فى مهمته من المربين ومن المثقفين (بكسر القاف المشددة والفاء) لأن هذا اللفظ مأخوذ كما يقول أهل اللغة من : ثقفته (بالتثقيل أقمت المعوج منه) .

أما عن المصالح المرسلة التى ألمح إليها فى حديثه ودفاعه عن الفن المعاصر السائد فى السينما والمسرح وما يتبعهما فى وسائل

---

(١) الآية : ١١ سورة الحجرات

الإعلام ؛ فإن (المصالح) جمع مصلحة ، ومعناها : المحافظة على مقصود الشرع الإسلامى من (جلب المنافع ومنع المفاسد عن الناس) ، والمراد بكلمة : (المرسلة) مالا ترجع إلى نص معين من نصوص الشريعة الإسلامية ، ولم يرد فيها ما يشهد لها بالإجازة ولا بالإلغاء .

وجملة ما تثبته المصالح المرسلة كدليل شرعى : أن ما شهد له الشرع بالاعتبار من الأوصاف المناسبة للأحكام مقبول بالاتفاق بين العلماء ، وما شهد له الشرع بالإلغاء غير مقبول اتفاقا كذلك . ومالم يشهد له الشرع لا بالاعتبار ولا بالإلغاء موضوع اختلاف بين الفقهاء ، ومجال أعمال المصالح المرسلة للشئون الدنيوية فى مسائل المعاملات وسائر الارتباطات القانونية وفى تنظيم المسائل القضائية والسياسية والحربية وكل ما له علاقة بنظام الدولة وتنظيم المعاملات بين أفراد الشعب ، وبينهم وبين الدولة ، وبين الدولة وغيرها من الدول الأخرى ما دامت تلك المصالح لا تتصادم مع النصوص القطعية العامة ، وما دام الأخذ بها بمعزل عن ظلم الناس .

ومن ثم فليس من المصالح المرسلة هذه الفنون التى تعارف عليها الناس فى هذا العصر عند اطلاق كلمة فن فقد ارتبط تاريخيا وواقعيا بمجالس الشرب وما يكون فيها وحولها مما يعف عنه القلم .

إن الغناء والموسيقى والتمثيل فى ذاته لا حرج فيه ، هذه الأم التى تهدهد وليدها وتغنى له أو تلك التى تغنى لزوجها أو ذلك الذى يغنى لزوجته أو تلك التى تغنى للنساء فى مجتمعهن الخاص بما لا فحش فيه من قول أو فعل فى الأعراس كل هذا ونحوه داخل فى الطيبات . لأنه نوع من اللهو والترف الذى تستريح إليه النفوس وتطرب له القلوب وتنعم به الآذان .

أما إذا كان الغناء وأتباعه من الموسيقى والتمثيل من عوامل الإثارة والهدم والسخرية بالأفراد والجماعات والإلهاء للناس عن أعمالهم وواجباتهم اليومية فى العبادات والمعاملات والأعمال . أما إذا كان كذلك فقد انحدر من دائرة (الطيبات) إلى دائرة (الخبائث) .

حيث قال الله تعالى فى (سورة الأعراف) .

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾(١)

ذلك أن واقع الطيبات والنعم لا تؤول بذاتها إلى نقم وإنما بصنيع الناس تصير النعمة نقمة ، والطيب خبيثا بالاستعمال فى غير وجهه المشروع .

ولعله كان الأولى بالفنان صاحب الحديث وهو يشير إلى المصالح المرسلة أن يشير كذلك إلى دليل آخر من الأدلة الشرعية

(١) من الآية : ١٥٧ سورة الأعراف

المرتبطة بالموضوع وهو سد الذرائع وهو دليل ثابت بالقرآن . وبالسنة الشريفة ففى القرآن قول الله ـ سبحانه ـ فى سورة النور .

﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾[1]

فقد نهت الآية النساء عن الضرب بأرجلهن ذات الخلاخيل لينبهن الرجال للنظر إليهن ومتابعتهن فكأن صنيعهن هذا ذريعة إلى هذه المفسدة ، ومثله فى هذه الأيام بدلا من الخلاخيل دقات كعوب أحذية النساء فى الشوارع ، والطرقات وغيرها من مجالات حضورهن بين الرجال .

من هذا الباب (سد الذرائع) قول الله ـ سبحانه ـ فى (سورة الأنعام) :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[2]

إذ أن سب المؤمنين آلهة غيرهم ذريعة تجر هؤلاء إلى أن يسبوا الله رب العالمين . فإذا كانت الذريعة فى ذاتها مباحة أو تفضى إلى مباح ، لكنها توصل إلى مفسدة ، صار هذا المباح محرما دفعا للفساد المرتقب .

---

(١) من الآية : ٣١ سورة النور   (٢) من الآية : ١٠٨ سورة الأنعام

وفى السنة الشريفة من حديث عبدالله بن عمر فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال :

(إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه) ، قيل : يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟

قال : (يسب الرجل أبا الرجل ؛ فيسب أباه ويسب أمه) .

ومن ثم يمتنع ، بل يحرم ، على المسلم أن يسب أب إنسان آخر أو أمه حذرا من الرد بسب والده وسب أمه .

ولا ينبغى فى باب الاستدلال على حكم شرعى أن نأخذ ببعض الكتاب ونعرض عن بعض على مثال ما جاء فى قول الله ـ تعالى ـ فى (سورة النساء) :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾

﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ (١)

ولا تَتْلُ قول الله ـ تعالى ـ فى (سورة الماعون) :

---

(١) من الآية : ٤٣ سورة النساء

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾[1]

فقط ؛ بل تكمل معها باقيها

﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[2]

وحين نحاول الاستدلال بالمصالح المرسلة - مع أن الموضوع لا يدخل فى نطاقها - نذكر الدليل الذى يحكم الموضوع وهو سد الذرائع ، وإذا كان الغناء والموسيقى والتمثيل من الفنون وكل ذلك فى ذاته من المباح الذى لا حرج فيه بل قد يدخل فى الطيبات . كما تقدم . لكن ذلك مشروط بما سبق من قيود . حتى إذا ما انفك عنها ، واقترن بتلك العوارض التى تنقله من دائرة المباح إلى الحرمة ، أو إلى الكراهة التحريمية على الأقل . حتى إذا ما آل إلى هذه الحال كان تطبيق دليل سد الذرائع حتما مقضيا ، وكان واجبا كذلك إعمال قاعدة : درء المفاسد أولى من جلب المصالح ، فإذا تعارضت مفسدة ومصلحة قدم دفع المفسدة نزولا على حكم رسول الله ﷺ : حيث يقول :

(إذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه) .

---

(١) الآية : ٤ سورة الماعون (٢) الآية : ٥ سورة الماعون

(٣) من الحديث الذى رواه مسلم والنسائى عن ابى سعيد - رضى الله عنه - فى باب الحج (حـ ١ جمع الفوائد) .

وفى هذا الموطن لا يفوت أن ننبه إلى أن أولئك المواطنين الذين لجئوا ، أو يلجئون إلى العنف والإيذاء لفرض الرأى أو لإزالة ما قد يرونه منكرا قد أخطأوا الوسيلة المشروعة فى الإسلام إذ الضرر لا يزال بالضرر .

فهل للفن أن يتحرر مما يوبقه ؟

وهل للفنانين أن يعملوا بفنهم لبناء هذا الشعب ، وعودته إلى قيمه الأخلاقية والاجتماعية المستمدة من تعاليم الإسلام ، وأن يشاركوا الشعب فى مواكب الإصلاح الشامل لمسيرته ، وألا ينجروا إلى مواقف ومظاهرات لم يتقبلها الأكثر من الناس ؟ .

ثم إنه من الخير لمن يفتى فى الحلال والحرام أن يتثبت مما يقول حتى لا يوقع الناس فى خطأ فى الدين .

هـــذا ؛

وإذا كانت قد وقعت حوادث فى بعض الجامعات بسبب الرغبة فى إقامة أحفال غنائية وموسيقية ، فإنه ينبغى مراجعة برامج هذه المناسبات ، وأن تدور فى نطاق ما أباحه الإسلام ، حتى لا تصبح دور العلم مكانا للعبث بالحرمات ، والجرأة فى المحرمات ؛ وإن كان الأولى أن تنزه دور العلم : من جامعات ومدارس عن أن تكون مكانا لمثل هذه الأحفال الغنائية والموسيقية التى لا تخلو ـ غالبا ـ من مخالفات لقواعد الأخلاق التى أمر بها الإسلام حيث تطغى فى تلك الأحفال النزوات والرغبات على كل القيود

والحدود ، وهذا ـ كما سبق ـ من باب سد الذرائع ، ووضع القدوة الحسنة للطلاب والطالبات .

وبهذا نصون مجتمعات الشباب عن كل المتاعب والمصاعب .

السينما والمسرح :

أما عن المسرح والسينما ، وما شابههما ، وهل يحرم أو يحل ارتيادها ؟ فإن هذه الدور ولا شك أدوات هامة للتوجيه والترفيه والتثقيف ، وكشأن كل أداة صالحة لأن تستعمل فى النفع ، أو فى الضرر ؛ فهى فى ذاتها لا ضير فيها ، كالسكين يستعمل فى النفع كما يستعمل فى العدوان . فهى صالحة لما تستثمر فيه بوصفها أداة .

ومن ثم فهذه الدور فى ذاتها مباحة بمراعاة قيود فرضها الإسلام فى نصوصه وقواعده .

أ ـ أن تكون الموضوعات المعروضة فيها وروادها بعيدين عن المجون وتوابعه من كل ما تمنعه شريعة الإسلام وآدابه كتلك الروايات التى تغرى بالجريمة وتحرض على الآثام ، وتثير الغرائز المفسدة ، أو تدعو إلى عقائد باطلة ، وأفكار منحرفة ؛ إذ كل ما يدعو إلى هذا حرام لا يحل لمسلم أن ينتجه أو يشارك فى إنتاجه ، كما لا تحل مشاهدته أو تشجيعه ، أو الدعوة إلى شىء من ذلك .

ب ـ ألا يترتب على دخول هذه الدور ضياع واجب دينى ، أو إهمال وتضييع عمل مشروع يستفيد به الفرد أو المجتمع .

جـ ـ أن يحافظ مرتادو هذه الدور على منع الاختلاط والملاصقة المثيرة للغرائز بين الرجال والنساء ، درءا للمفاسد ومنعا للفتنة ، لاسيما والعرض فى هذه الدور يتم فى حالة إظلام تام .

وعلى كل رب أسرة أن يحرص على صون كرامة أهل بيته باصطحابهن إلى تلك الدور إذا دعت الحاجة حتى لا يتعرض لما هو شائع ومعروف ، وليعلم الناس جميعا :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ (١)

---

(١) من الآية : ١١ سورة الرعد